

بسم الله الرحمن الرحيم  
كلمة الأستاذ الدكتور محمود السيد في حفل تكريمه بمكتبة الأسد في ٢٠١٨/٩/١٨

**السيد وزير الثقافة الأستاذ محمد الأحمد المحترم  
أيها السيدات، أيها السادة، أيها الحفل الكريم:  
أسعد الله أوقاتكم، وأحييكم أجمل تحية:**

اسمحوا لي في البداية أن أوجه التهاني إلى قائد  
الوطن السيد الرئيس بشار الأسد بمناسبة انتصاره على  
قوى الظلام والتكفير والإرهاب، وأن أحيي أرواح  
شهادتنا الأبرار وبطولات جيشنا العقائدي المغوار الذي  
حقق أشرف البطولات، وأبهى الانتصارات على قوى  
البغي والشر والعدوان، وتمنياتنا القلبية بالشفاء العاجل  
لجرحانا الميامين الأخيار، إذ لولا دماء الشهداء الزكية  
والقيادة الحكيمة ما توفر للوطن الأمن بعد السنوات  
السبع العجاف التي كابد فيها الوطن مختلف أنواع  
التدمير والإرهاب، وما كان لهذا اللقاء أن يحدث، فقد  
واجه قائدنا التدمير المبرمج الذي طال وجودنا وكياننا،  
واجهه بهمة عالية وإرادة قوية وعزيمة جبارة وثقة  
بالمستقبل، وأثبت في كل المواقف التي مرّ بها الوطن  
أنه رجل المبدأ والموقف، فحقق النصر لشعبه، فله أسمى  
آيات الشكر والامتنان والتقدير.

وأوجه بالشكر الجزيل إلى وزارة الثقافة على  
صنيعها في تخصيص هذه الجائزة التقديرية للدولة، ولقد  
حزت من قبل في مطلع هذه الألفية الجائزة العربية  
التقديرية للتربية على المستوى القومي من المنظمة

العربية للتربية والثقافة والعلوم على الدراسات والبحوث التي أنجزتها في المجال التربوي، وجاء في تقرير لجنة الحكم على منح هذه الجائزة، ومن أعضائها فقيه التربية على الصعيد العربي الدكتور حامد عمار من مصر رحمه الله، والعالم الكبير الأستاذ الدكتور محمد السويسي من تونس رحمه الله «أن تلك الدراسات والبحوث جاءت محققة القيم القومية والإنسانية، وتمييزة بالعمق والأصالة والجدة، وملتزمة بالمنهجية العلمية السليمة في معالجة مختلف جوانب الموضوع ومجالاته، ومنفتحة على الاتجاهات العالمية موظفة لها، وممتازة برصيد الخبرة وممارسة الميدان التربوي واللغوي ممارسة طويلة وثرية».

بيد أن لجائزة الدولة التقديرية حالياً طعماً خاصاً ونكهة مميزة لأنها من الوطن وعلى أرضه، والوطن كما قال القائد الخالد حافظ الأسد رحمه الله هو ذاتنا، وهو المعشوق الأول الذي لا يساويه ولا يدانيه أي معشوق آخر، ولا حياة إنسانية دون وطن.

### أيها الحفل الكريم:

إن تكريم الوطن لأبنائه يعد من أرقى أنواع التكريم وأنبهها، فقيمه المعنوية عالية علو علم الوطن الخافق المزيّن بلون دماء الشهداء، واخضرار نجمته كالأرض الطيبة المعطاء العصيّة على هجمات المجرمين الحاقدين الكارهين لكل نور. هذا الوطن لم يكن يوماً إلا مضرب المثل في البذل والتضحية والفداء، كان وما يزال وسيبقى الأم الرؤوم الحنون على جميع الأبناء. وها هو

ذا ينهض منتصراً بعد سنوات عجاف من الحرب الكونية  
الظالمة القذرة، وفي عينيه تلالؤ الشوق ونجمات الفرح،  
ينهض شامخاً رغم ما أحدثه الإجمام في وجهه من  
ندوب مبان مهدمة، ودروب مدمرة، وعبرات أرامل  
وأيتام وتكالى، وجروح دماء طاهرة نذفت، وأنات  
جرحى فقدوا بعض أجسادهم، وحسرات شباب شهدوا  
تبخر أحلامهم، وغصات شيوخ مروا بحطام ما بنوه في  
سنين. ينهض وهو يحمل هذا كله، ويحمل معه الإصرار  
والأمل بغد جميل، وترقب لصباح مشرق مع من ثبت  
على هذا التراب، وآمن أن على هذه الأرض ما يستحق  
الحياة العزيزة الكريمة، وأن في الأفق نوراً كامناً سينبلج  
مهما ادلهم الليل، وطالت ساعات الغسق.

يا وطني المكرّم والمكرّم، كم أنا فخور بك لأنك  
وطني، وفخور بأني سوري من هذه الأرض التي أبدعت  
أول أبجدية في التاريخ وأول كتابة موسيقية، وأقدم  
ناعورة، وأول قاموس، وأول مكتبة، وأول معاهدة سلام.  
وكم في صفحاتك يا وطني من شواهد على عمق  
حضارتك التي بها نعتز !

ولكم كنت يا وطني عطوفاً علينا، ومحباً لنا، وموفراً  
لنا الظروف الملائمة للجد والنجاح والعمل والتفوق،  
ومقدراً جهود بنيك، وجدير بنا نحن الأبناء أن نقابل  
الوفاء بالوفاء، ونرد العطاء بالعطاء، وما أقل عطاءنا  
تجاه عطائك يا وطني! وما أمرّ عقوق نفر من بنيك !  
وما أقسى نكرانهم!

في الأزمات تظهر معادن الناس، وقد كشفت الأزمة القاسية التي مرَّ بها الوطن عن الأتقنة فبانَّت الوجوه على حقيقتها، فثمة من كان بارًا بوطنه، ثابتًا على أرضه، ومتشبثًا بترابها، وما ترابها إلا أمه وأبوه ورفات أجداده، وثمة من تاه وضاع وضلَّت به الطريق، ففقد الرؤية، وغابت عنه البصيرة.

### أيها الحفل الكريم:

إنَّ وقوفي اليوم بينكم لم يكن وليد صدفة أو نتيجة مواقف عابرة، هذا الوقوف لم يكن إلا محطة نهاية درب وعر وشاق وطويل، فيه ما فيه من الألم والمعاناة، وفيه ما فيه من الإيمان والعمل بصمت وصدق وعزيمة دون غرور أو تُوخٍّ لمديحٍ إثر نجاح، أو لانكفاء بعد إخفاق.

أذكرني منذ ستين عامًا، أذكر ذلك الشاب الذي يحاول أن يجد لنفسه موطنًا قدم تحت سماء بلاده التي أحب، ومكانًا وسط عاصمة قدم إليها من بيئة تحترم العلم وتقدره عاليًا، وهو مزوّد بالعزيمة وحب العمل والبحث عن الدروب التي تؤدي إلى الصعود، فألفاها عديدة، وكان أقربها إلى الغاية الموحش الوعر كما قال شاعرنا الكبير بدوي الجبل رحمه الله:

دروب العلا للسالكين عديدة وأقربها للغاية الموحش

أذكر ذلك الشاب الموفِّق بين عمل بعيد عن طموحه آنذاك، ودراسة لفرع أحبه ولغة عشقها، وبذل لها من رحيق نفسه، وساعات ليله، وأوقات نهاره جلَّ إمكاناته. ذلك الشاب اليتيم الطموح والذي مهما بالغ في طموحه،

لم يكن ليحلم يوماً أن يقف مكرماً من أمته على المستوى القومي، ومن وطنه بعد ما يزيد على نصف قرن من العمل قضاه في إنجاز البحوث والدراسات وفي الكتابة والتأليف والتدريس والعمل الأكاديمي، والله در الشاعر ابن هاني الأندلسي القائل:

ولم أجد الإنسان إلا ابن فمَن كان أسعى كان بالمجد

إلا أن عطائي الفكري كله في مختلف المجالات لا يعادل قطرة دم واحدة بذلها شهيد في سبيل الوطن:

فلنتحن الهائم إجلالاً لكل حر عن الأوطان مات

### أيها الحفل الكريم:

كلنا عابرون عبور السحاب في سماء ممتدة، ولا يبقى من المرء إلا الأحاديث والذكر، وينقطع عمله وذكره إلا من ثلاثة أحدها علم ينتفع به كما جاء في الحديث النبوي الشريف، فلنكن عابرين، وتاركين الذكر الطيب، والعمل الصالح، والأثر الخالد في العلم. ونصيحتي إلى من يسلك وسيسلك طريق البحث والعلم والدراسة:

أن اعملْ بجد ومحبة وإخلاص وتواضع دون ترقب لإطراء، أو توجس عند غيابه،

ورحم الله شاعرنا الكبير أبا العلاء المعري القائل:

فلتفعل النفس الجميل لأنه خير وأبقى لا لأجل ثوابه

وما من ريب: لا يذهب العرف بين الله والناس.

وما من رَيْبٍ فَإِنَّ الْوَطْنَ سَيُثْبِتُكَ عَلَى أَدَائِكَ  
اعْمَلْ بِصِمْتٍ وَإِيمَانٍ وَإِصْرَارٍ عَلَى بُلُوغِ الْهَدَفِ  
مَهْمَا تَكِ الْمَعْوَقَاتِ وَالْمَثْبُطَاتِ،  
اعْمَلْ فِي ظِلِّ أَيْكَةِ الْمَعْرِفَةِ دُونَ حِسَابِ لَطُولِ مَسَافَةِ  
أَوْ لَعْسِيرِ دَرْبِ.

اعْمَلْ بِصِدْقٍ وَأَمَانَةٍ وَخَلْقٍ، وَلِتَكُنْ خِدْمَةُ وَطْنِكَ  
بِوَصْلَتِكَ، وَلِيَكُنْ هَاجِسُكَ الْإِرْتِقَاءُ بِهِ فِي جَوْ مِنْ الْمَحَبَّةِ  
الصَّافِيَةِ تَرْسِيخاً لِلْمَوَاطِنَةِ وَالْعَدَالَةِ فِي مَنْأَى عَنْ أَيِّ تَحْيِزٍ  
أَوْ تَزَمَّتْ أَوْ تَعْصَبَ أَوْ تَفَكِّرَ غَيْرَ عِلْمِي! مِنْ سَمَاتِكَ  
احْتِرَامِ الْحَقِيقَةِ وَالرَّأْيِ الْآخِرِ، وَمَرُونَةِ التَّفَكِيرِ، وَالتَّحْلِي  
بِالْفِكْرِ الْمُسْتَنِيرِ.

وأخيراً أوجه تحية إلى روح أمي الحكيمة رحمها الله  
وطيب ثراها، فهي التي غرست فيّ بذور المثابرة والجد  
والاجتهاد منذ نعومة أظفاري، وكانت المثال الحيّ في  
التوجيه والتربية، كما أوجه تحية شكر إلى رقيقة دربي  
التي شاركتني الحياة مرّها وحلوها، ووقفت إلى جانبي  
تشدّ من أزرعي، ووفّرت لي الأجواء لإنجاز ما أنجزت،  
والشكر ممتدّ إلى أساتذتي الكرام الذين كان لهم فضل  
الرعاية والتشجيع، وللوطن أولاً وأخيراً الذي احتضننا  
ورعانا، ووفّر لنا مستلزمات البحث والعمل والدراسة.  
وأكرر الشكر لوزارة الثقافة على صنيعها المقدّر  
والمعتبر، ولوزيرها الجدير بكل احترام وتقدير، والسلام  
عليكم ورحمة الله وبركاته.